إدارة الأزمات: قراءة اسلامية

د. نبيل مصطفى شعت

أستاذ إدارة الأعمال المساعد في جامعة القدس المفتوحة – فلسطين

nshath@hotmail.com

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على إدارة الأزمات من المنظور الإسلامي وتقديم منهج بمرتكزات وقواعد مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية . أوردت الدراسة أزمة حدثت مع الصحابي كعب بن مالك وكيفية إدارته لأزمته بنجاح باهر وتم استنباط العديد من المبادئ والقواعد التي تشكل نموذج يحتذى . اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي .

Abstract :

The study aimed at recognizing a crisis management from Islamic perspective and introducing methodology based on pillars and rules deduced from Holy Quran and the Prophetic Sunnah. The study included the crisis of the companion Ka'b Bin Malik and how he managed it successfully . The researcher employed the descriptive and deductive methodologies. Several principals and rules (forming a model to follow) were deduced . Proper recommendations were given

10

الاطار المنهجي

مقدمة :

يشهد العالم في هذا العصر العديد من الأزمات والمشكلات والكوارث والصراعات المتعاقبة منها العقائدية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية والبيئية ، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات بما في ذلك المنظمات والمؤسسات بمختلف أنواعها . يقف الإنسان إزاء ذلك في كثير من الأحوال عاجزا عن مواجهة وإدارة هذه الأزمات بنجاح أو الخروج منها بأقل الخسائر – بشرية أو إدارية أو معنوية . وفي هذا الخضم يعاني المسلمون في أنحاء العالم من أزمات ومصائب عديدة ومتنوعة بسبب عدم تطبيقهم الدقيق لتعاليم دينهم الحنيف – الإسلام . وبهذا الصدد فقد اشتمل الإسلام على وضع الحل الأمثل لكل جزئية أو كلية تتعلق بأمور الدنيا أو الآخرة ، حيث يقول الله تعالى في كتابه العزيز : { مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ } [الأنعام : 38] ويقول تعالى { وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ } [النحل : 89] ويقول تعالى { وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ } [الحشر : 7] ويقول الله تعالى { لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ } [الأحزاب : 21] فكان لابد لنا من الرجوع الصادق إلى كتاب الله القرآن الكريم وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

مشكلة البحث :

تحدث الأزمات على مستوى الأفراد والجماعات مثل المؤسسات العامة والخاصة وحتى على مستوى الدول ونعرض هنا كنموذج قصة الصحابي الذي واجه أزمة ، لكنه نجح في إدارتها بسبب تطبيقه للمنهج الإسلامي ثم نتناول المواقف التي مر بها في أزمته بقراءات إدارية ونتعرف على المفاهيم والدلالات الإدارية المستنبطة من ذلك . يمر المسلمون في شتى بقاع الأرض بظروف وأوضاع عصيبة في هذا العصر حيث الأزمات والمشكلات والصراعات المتلاحقة وفي خضم هذا البحر المتلاطم الأمواج يتحتم على المسلم مواجهة ذلك ومن هنا تتمثل المشكلة في السؤال الرئيسي الآتي : كيف يستطيع المسلم إدارة ما يقابله من أزمات باقتدار ؟ ويتفرع من هذا الأسئلة الآتية :

1. ما المنهج الذي يتوجب عليه اتباعه لإدارة الأزمات ؟
2. ما الوسائل والمبادئ التي يستعين بها لإدارة وحل الأزمات ؟
3. من هو نموذج هذا البحث (الفرد صاحب الأزمة) ؟

أهداف البحث :

1. حيث أن الكثير من المسلمين لا يعرف الكثير عن الأصول والمبادئ الراسخة التي وضعها الإسلام لإدارة وحل الأزمات فمن الأهمية بمكان تعريفهم بذلك .
2. تعريف المسلم بكيفية تحويل المحنة إلى منحة باتباعه المنهج الإسلامي القويم .
3. التعرف على النجاح الباهر الذي حققه الصحابي الجليل كعب بن مالك (وهو الذي نزل فيه قرآن) في معالجة وإدارة أزمته .

أهمية البحث :

1. تنبع أهمية هذا البحث من ضرورة أن يعلم المسلم بالمنهج الذي وضعه الإسلام من أجل أن يحتاط ويتخذ التدابير والترتيبات اللازمة لمنع وقوع الأزمة .
2. معالجة وإدارة الأزمات بنجاح في حال حدوثها .
3. استخلاص العبر والمواعظ عند انتهاء الأزمة لتفادي تكرار حدوثها .

منهجية البحث :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التاريخي والمنهج الاستنباطي لكونهما الأنسب لهذا النوع من الدراسة .

دراسات سابقة :

1. دراسة بعنوان (إدارة الأزمات وإلكترونية اتخاذ القرار) ، الجبوري ، فؤاد يوسف عبد الرحمن ، وآخرون ، مجلة جامعة بابل ، العلوم الإنسانية ، المجلد 19 ، العدد 1: 2001، العراق .

   تحدثت هذه الدراسة عن الموضوع من منظور الفكر الإداري الحديث (الوضعي) فقط.
2. دراسة بعنوان (إدارة الأزمات وفق المنهاج الإسلامي)،www.shbab3net.com

   لم تقدم هذه الدراسة للدخول إلى الموضوع ، حيث لم ترد الأجزاء التقديمية المألوفة ولم ترد نبذة عن الشق التقليدي حول إدارة الأزمات .
3. دراسة بعنوان (استراتيجية إدارة الأزمات : تأطير مفاهيمي على وفق المنظور الإسلامي) ، أ.د. إيثار عبد الهادي محمد ، كلية الإرة والاقتصاد – جامعة بغداد .

   تركز هذه الدراسة على الإطار المفاهيمي للأزمة وتتجاوز وجهة النظر التقليدية التي تصفها كحدث يدمر أو يؤثر في المنظمة ككل ولا تقدم أنموذجا .

4. دراسة بعنوان (نظرات في استثمار الأزمات)،عادل السلطان على موقعwww.saaid.net . تتفق هذه الدراسة مع الدراسة الحالية في مجموعة نقاط ولكنها لم تتناول مفهوم الأزمة لغة أو اصطلاحا ومبادئ إدارة الأزمة في الفكر الإداري الحديث مقارنة مع الفكر الإداري الإسلامي .
5. دراسة بعنوان (إدارة ومواجهة الأزمات) على موقع
www.karicom.com/vb/t71629html
تناولت هذه الدراسة الموضوع من منظور الفكر الإداري الحديث (الوضعي) وليس من منظور الفكر الإداري الإسلامي .

الإطار النظري

المبحث الأول : مفاهيم نظرية

المطلب الأول : تعريف الأزمة:

لا تعتبر الأزمة من المصطلحات الحديثة رغم أنها كانت موجودة من بدء الخليقة . وقد كانت أول أزمة واجهت بشرا هي نزول سيدنا آدم – عليه السلام – إلى الأرض ... وبخصوص تحديد مفهوم واضح للأزمة نجد وجهات نظر الأطراف المعنيين بأزمة ما .... (1)

الأزمة لغة : يعرف ابن منظور الأزمة في كتابه " لسان العرب " كما يلي: أزم : الأَزْمُ : شدَّةُ العَضِّ بالفَمِ كلِّه ، وقيل بالأَنْيَاب ، والأَنْيَابُ هي الأَوَازِمُ ، وقيل : هو أن يَعَضَّهُ ثُم يُكَرِّر عليه ولا يُرْسِله ، وقيل : هو أن يَقْبِضَ عليه بفيه ، أَزَمه ، وأَزَمَ عليه يَأْزِمُ أَزْماً وأُزُوماً ، فهو آزِمٌ وأَزُومٌ ، وأَزَمَت يَد الرجُل آزِمُها أَزْماً ، وهي أَشدُّ العَضِّ . قال الأصمعي : قال عيسى بن عمر كانت لنا بطَّة تَأْزِمُ أي تَعَضُّ ، ومنه قيل للسَّنة أَزْمَةٌ وَأَزُومٌ وأَزامِ ، بكسر الميم . وأَزَمَ الفرسُ على فأْسِ اللِّجام : قَبَض ، ومنه حديث الصدّيق : نظرت يوم أُحُدٍ إلى حَلَقَة دِرْع قد نَشِبَت في جَبين رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فَانْكَبَبْت لأَنْزِعَها ، فَأَقْسَم عليَّ أَبو عبيدة فَأَزَمَ بها بثَنِيَّتيه فجَذبها جَذْباً رَفيقاً أي عَضَّها وأَمْسَكها بين ثَنِيَّتَيْه ، ومنه حديث الكَنْز والشجاع الأَقْرع : فإذا أَخذه أَزَم في يده أَي عَضَّها . والأَزْمُ : القطعُ بالناب والسِّكِّين وغيرهما . والأَوَازِمُ والأُزَّمُ والأُزُمُ : الأَنْياب ، فواحدة الأَوازِمِ آزِمةٌ ، وواحدة الأُزَّمِ آزِمٌ ، وواحدة الأُزُمِ أَزُومٌ . والأَزْمُ : الجَدْبُ والمَحْل . أورد ابن سيده : الأَزْمة الشدّة والقَحْط ، وجمعها إِزَمٌ كبَدْرةٍ وبِدَر ، وأَزْمٌ كتَمْرةٍ وتَمْر . ... (2)

الأزمة اصطلاحا : تعرف الأزمة بأنها " تهديدا خطيرا أو غير متوقع لأهداف وقيم ومعتقدات وممتلكات الأفراد والمنظمات والدول والتي تحد من عملية اتخاذ القرار "[3] .

ومن معاني الأزمة ما يلي :

1. خروج الأشياء عن مسارها الطبيعي أيا كانت سواء اقتصادية أو دينية أو صحية [4].
2. مرحلة متقدمة من مراحل الصراع بدءاً من داخل النفس البشرية وانتهاءً بالصراعات الدولية [5].
3. تعرض الفرد أو الجماعة إلى مواقف حساسة وحرجة وتزداد إذا أهملناها ، فمن الإهمال ينجم الخطر [6] .

يعرف معجم ويبستر الأزمة بأنها " نقطة تحول إلى الأفضل أو الأسوأ " وأنها " لحظة حاسمة أو وقت حرج " كما يعرفها أيضا بأنها " وضع أو موقف بلغ مرحلة حرجة "[7] .

ويرى علما الاجتماع أن الأزمة هي التي تحدث عندما يواجه الفرد تغير في موقف حياتي يحتوي على مشكلة لا يمكن حلها باستراتيجيات التعامل الاعتيادية اليومية وبحيث يؤدي ذلك إلى تمزق التوازن العاطفي إذا لم ينجح في حلها خلال فترة قصيرة [8].

الإدارة : هي عملية ضرورية في جميع أوجه وأنشطة الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية والسياسية والثقافية والبيئية . وقد اختلف رجال الفكر الاداري في تعريفهم للإدارة ، فنجد عدة تعريفات : [9] حيث يقول هنري فايول : (أن معنى أن تدير هو أن تتنبأ وتخطط ، وتنظم، وتصدر الأوامر ، وتنسق وتراقب) ، ويعرفها كونتز وأدونال على أنها (وظيفة تنفيذ الأشياء عن طريق الآخرين) ، بينما بيترسون وزميله بلومان يعرفان الادارة بأنها (أسلوب يمكن بواسطته تحديد وتوضيح أغراض وأهداف جماعة انسانية معينة) ، أما موني فيعرفها بأنها (الشرارة الحيوية التي تنشط وتوجه وتراقب الخطة والاجراءات عند المنشأة) .

خصائص المنهج الاداري الاسلامي : يمكن تحديد الخصائص للإدارة الاسلامية بصورة اجمالية بأنها : [10]

1. تم تنزيل القرآن الكريم من الله عز وجل بواسطة الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين للناس مناهج الاستقامة في الدنيا وما يتبعها في الآخرة .
2. يدعو الاسلام الى اعمال العقل والفكر في تدبير شؤون الحياة والتدليل على وحدانية الله.

3. خلق الانسان في هذه الحياة لعبادة الله خالقه وتعمير الكون مع اقتران ذلك كله بالآخرة، ولا يقر الاسلام الرهبانية والعزوف عن الدنيا .
4. تلتزم الادارة الاسلامية بالعلم والعمل معا فمبادئها تتطلب ترجمة فردية وجماعية في واقع الحياة .
5. يتسم الفكر الاسلامي بالاعتدال والوسطية المثلى في القيم الاخلاقية النبيلة . ولا تعني الوسطية العزوف عن الرضاء بما هو الافضل ، فقد قال عليه السلام : " ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه "
6. يفصح الفكر الاسلامي عن كنه وجود الانسان وصلته بهذا الكون وخالقه الذي لا معبود سواه والاقرار بأن هذا الوجود كلي متناسق بإرادة الله وتدبيره .
7. ان الادارة الاسلامية تبغي تحقيق المصالح الحقيقية أو الضرورية للمجتمع .
8. تتميز الادارة الاسلامية بخصوصية الجمع بين الاصول الفقهية والاجتهادات العقلية التي تستند اليها أيضا لغاية هدفها جعل هذه الادارة صالحة لكل زمان ومكان تتجلى فيها مضامين العمل الدنيوي والأخروي .

المطلب الثاني

أنواع الأزمات وتصنيفاتها

إن أية أزمة بحكم طبيعتها تنطوي على عدة جوانب متشابكة ادارية ودينية واقتصادية وانسانية وجغرافية وسياسية ومن هنا كان تحديد نوع الأزمة ليس عملية سهلة فهناك : [11]

1. أزمة شخصية ذات طابع معنوي مثل الطلاق والمرض الشديد والطرد من العمل ووفاة أحد الوالدين وغير ذلك من الأزمات الشخصية .
2. أزمة اجتماعية تهز المجتمع بأسره مثل الزلزال والبراكين والحروب .
3. أزمة اقتصادية يغلب عليها الطابع المادي المؤثر في اقتصاد الاشخاص كالتضخم ، والافلاس، وتكدس المنتجات وعدم القدرة على تصريفه .
4. أزمة دولية وتمس المجتمع الدولي مثل التلوث البيئي .
5. أزمة ادارية وهي التي تتعلق بالمنظمة كاحتراق ملفات المنظمة أو اضراب الموظفين عن العمل ، والعجز المالي .

ويمكن تصنيف الأزمات استنادا الى المعايير التالية : [12]

1. نوع مضمون الأزمة
2. النطاق الجغرافي للأزمة
3. حجم الأزمة
4. المدى الزمني لتأثير الأزمة
5. المعيار المركب الذي يشمل أكثر من معيار.

المبحث الثاني

إدارة الأزمة

المطلب الأول : إدارة الأزمة وفق الفكر الإداري الحديث (الوضعي)

لقد وضع الفكر الإداري الحديث عددا من الخطوات يمكن إتباعها عند حدوث الأزمة ، وهي كما يلي : (13)

1. تكوين فريق عمل لوقت الأزمات وإمداده بأفضل الكوادر والتجهيزات والأدوات .
2. تخطيط الوقت أثناء الأزمات والاستفادة من كل دقيقة في تخفيف أثر الأزمات .
3. الرفع من معنويات العاملين وقت الأزمات مما يشعرهم بالحماس والحيوية والالتزام بالعمل .
4. الإبداع والتجديد في المواقف العصيبة وإشعال روح الإبداع لدى العاملين لتقديم حلول وآراء غير مسبوقة .
5. حل المشكلات وقت الأزمات بتحديد المشكلة وإجراء المشورة ومن ثم اختيار الحل الأنسب من الحلول المتاحة .
6. تقبل التغيير وقت الأزمات .
7. العمل على حصر الأزمات التي من المتوقع أن تحدث في الحاضر والمستقبل والعمل على دراستها ووضع بدائل للحلول المناسبة لها .

والملاحظ أن نموذج (إدارة الأزمات) الذي وضعته الإدارة الحديثة تجاهل بعض النواحي الهامة لاحتواء الازمة وخاصة ما يتعلق منها بقيم العاملين في ادارة الازمة والتعبئة النفسية والايمانية لمواجهتها ، وهذا لا نجده الا من خلال الفكر الاداري في الإسلام ، ولنا في رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أسوة حسنة في تفعيل الأزمات والاستفادة منها وفي كيفية تحويل المحنة إلى منحة وتحويل الموقف السلبي إلى إيجابي وذلك بقوة الإيمان والعزم والتوكل على الله.

المطلب الثاني

إدارة الأزمة وفق الفكر الإداري الإسلامي

يمكن وضع النموذج الاسلامي لإدارة الأزمات كما يلي : [14]

1. أن يكون مرجع إدارة الأزمة نابع من كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم.
2. الشعور بالطمأنينة والثقة بالله سبحانه وتعالى ثم الثقة بالذات والنفس ويضع في اعتباره قوله تعالى : { وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥ } [الطلاق : 3] .
3. التعلق بالله جل وعلا والإكثار من الدعاء : ففي غزوة بدر عندما ظل النبي – صلى الله عليه وسلم – رافعا يديه إلى السماء يدعو ربه ويقول : (اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لن تعبد في الأرض بعد اليوم) فما زال يهتف بربه ، ماداً يديه مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه حتى جاءه أبو بكر – رضي الله عنه – قائلا : إن الله منجز وعدك يا رسول الله ، ويوم أن قال له الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فقال – صلى الله عليه وسلم – (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، ويقول تعالى : { وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ } [غافر : 60] ، ويجب علينا ألا ننسى (إن الله يحب الملحين بالدعاء) ، ومن ذلك فعل النبي صلى الله عليه وسلم كما يحدِث به علي رضي الله عنه يقول : لقد أتينا ليلة بدر وما فينا إلا نائم إلا النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي إلى شجرة ويدعو..) ، ويقول – صلى الله عليه وسلم – : (ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه السوء مثلها ما لم يدعو بإثم أو قطيعة رحم) رواه الترمذي.
4. الثقة بالله جل وعلا : وما يشير إلى ذلك قوله تعالى : { فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦ } [الشرح : 5 – 6] ، وقوله تعالى : { وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ } [آل عمران : 139] ، وأيضا في غزوة بدر عندما وقف النبي – صلى الله عليه وسلم – يشير إلى مواطن الأرض ، ويقول : هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ، يقول الصحابة : فما اخطأ موقع أحدهم ، وبعد موتهم ودفنهم في القليب وقف أمام القليب – صلى الله عليه وسلم – وقال : (إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) ، وفي هذا يقول الشاعر :

ولرب نازلة يضيق بها الفتى *** ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها *** فرجت وكنت أظنها لا تفرج

5. الاستفادة مما سبق من تجارب ماضية : والنبي صلى الله عليه وسلم يؤكد على عدم الوقوع في الأمر مرتين فيقول : (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين) متفق عليه ، والاستفادة من الأزمة لمعرفة الصديق المساند من العدو المتهرب . فالواجب علينا الاستفادة من تجاربنا السابقة وتجارب الآخرين أيضا والعمل على قراءة المستقبل من خلال معرفة الماضي للاستفادة من زماننا حتى لا يضيع سدى.
6. عدم تقليد المنظمات الأخرى في حلول الأزمات التي تتبعها ، فما يناسب منظمة ليس بالضرورة أن يناسب منظمة أخرى لعدم تكافؤ الظروف بين المنظمات .
7. المبادأة والابتكار فيما يخدم تغيير المنظمة نحو الأفضل ، فالقائد الناجح عليه إشعال حماس العاملين الأمر الذي يؤدي إلى رغبة الفرد في المشاركة وحل الأزمة ، فعلى سبيل المثال إتاحة الفرصة للتعبير عن النفس ، وتحقيق الذات ، والإحساس بأن الفرد نافع ، والرغبة في الحصول على معلومات ، والرغبة في التعرف والعمل مع زملاء جدد، والإحساس بالانتماء إلى عمل خلاق ومكان عمل منتج ، والرغبة في النمو والتطور من خلال الإبداع والتطوير ، وغيرها من مثيرات الحماس والدافعية .
8. أن يتبنى إدارة الأزمات داخل المنظمة قائد يتمتع بصفات تؤهله لإدارة الأزمات وحل المشكلات ، ومن هذه الصفات (العلم – الخبرة – الذكاء – سرعة البديهة – القدرة في التأثير على الأفراد – التفكير الإبداعي والقدرة على حل المشاكل والسيطرة على الأزمات – القدرة على الاستفادة من علوم الآخرين وخبراتهم – القدرة على الاتصال الفعال بالآخرين وتكوين العلاقات الإيجابية – الرغبة والحماس) ، يقول تعالى : { إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ٢٦ } [القصص : 26] .
9. الموازنة الموضوعية بين البدائل المتاحة واختيار أقربها إلى حل الأزمة وتحقيق مصلحة العمل والمنظمة فيما لا يخالف الشريعة الإسلامية ، وهذا ما فعله النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما جمع أصحابه في غزوة الخندق يأخذ رأيهم ، فعرضوا عليه آرائهم وكان من بين الآراء رأي سلمان الفارسي – رضي الله عنه – الذي أشار إلى حفر الخندق فأخذ برأيه النبي – صلى الله عليه وسلم – لأنه الأقرب للصواب .
10. يعتبر (الصبر) من أهم الصفات التي يجب على القائد التحلي بها عند الأزمة وتتضح أهمية الصبر من موقف النبي – صلى الله عليه وسلم– في حل أزمة الحصار الاقتصادي عليه وعلى

الذين آمنوا معه قبل الهجرة : يقول تعالى : { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣ } [البقرة : 153] ، وفي موقف آخر " لما عجزت قريش عن قتل النبي صلى الله عليه وسلم أجمعوا على منابذته و من معه من المسلمين ، فكتبوا كتاباً تعاقدوا فيه على ألا يناكحوهم و لا يبايعوهم و لا يدعوا سببا من أسباب الرزق يصل إليهم و لا يقبلوا منهم صلحاً و لا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلم بنو المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ليقتلوه، و علقوا الكتاب في جوف الكعبة و اشتد البلاء برسول الله صلى الله عليه وسلم و الذين آمنوا معه حتى كانوا يأكلون الخبط و ورق الشجر و كان التجار يغالون في أسعار السلع عليهم و كان الأطفال يتضاغون من الجوع، و لم تترك سلعة تصل إليهم ، و بعد ثلاث سنوات أجمع بنو قصي على نقض ما تعاهدوا عليه، فأرسل الله على صحيفتهم الأرضة فأتت على معظم ما فيها من ميثاق و عهد و لم يسلم من ذلك إلا الكلمات التي ذكر فيها اسم الله عز وجل " فكان جزاء هذا الصبر و الجلد و تحمل المشاق أن الله سبحانه وتعالى قد مكنهم من منابع الثروة و الاستيلاء على عروش الملوك و فتح بلاد الروم و فارس ، و صدق الله إذ يقول: { وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٥ } [القصص : 5] .

11. الاستخارة : فلقد حكى لنا جابر أن رســـــول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلّمهم الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، ولاحظ أنه قال: "في الأمور كلها" هكذا، أي في عظيم الأمر وحقيره؛ فما بالك بقرار يتعلق بأزمة، وها هو صلى الله عليه وسلم يقول لنا: "إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهـــم إني أستخيرك بعلمـــك ....." ، وكان يقول – صلى الله عليه وسلم – : (ما خاب من استخار وما ندم من استشار) .
12. التمسك بالقيم والمثل والأخلاق والسلوكيات الحسنة : فنجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم وقت الأزمات و المحن الاقتصادية لم يتنازل عن القيم و المثل و الأخلاق و السلوكيات التي أمر الله بها وبذلك استحق النصر بعد الأزمة و اليسر بعد العسر .
13. الشجاعة : ومثال لذلك لما ارتجفت المدينة وسمع الناس دويا عظيما فيها فخرج الناس لينظروا ، فإذا بالنبي – صلى الله عليه وسلم – قد عاد راكبا على حصانه من غير سرج يقول لهم : (لم تراعوا ... لم تراعوا) ، وكان أصحابه – رضوان الله عليهم – يقولون : (كنا إذا اشتد بنا الوطيس احتمينا بالنبي – صلى الله عليه وسلم –) .

14. التفاؤل وعدم التشاؤم : فيجب على المسلم ألا ينظر للأزمة على أنها كلها شر ، فالنظرة السلبية تعوق التفكير السليم الذي يسهل الوصول للحل المناسب ، وفي هذا يقول الشافعي : أما ترى البحر تعلو فوقه جيف .... وتستقر بأقصى قاعه الدرر .
15. على القائد أن يتذكر دائما قاعدة (ما أصابك لم يكن ليخطئك) : هذه الوصية تجعلك تظفر بثمرة "الإيمان بالقضاء والقدر"؛ فالأزمة في حقيقتها مصيبة يبتلينا ربنا – عز وجل – بها تمحيصاً للذنوب ورفعة للدرجات، قال – تعالى –: { إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩ } [القمر: 49]، وقال: { وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورٗا ٣٨ } [الأحزاب : 38]، وفي حديث جبريل – عليه السلام – أخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإيمان بقوله: "أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وتؤمن بالقدر خيره وشره"، وفي هذا الإطار يقول جل من قال : { أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣ } [العنكبوت : 2 – 3] ، ويجب على المسلم أن يجعل الإيمان بالقضاء والقدر وسيلة لكسب الحسنات وتكفير السيئات من منطلق حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – : (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولاهم ولا حزن ولا أذى ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) متفق عليه.
16. تجنب الغضب وقت الأزمة : لأن الغضب يؤدي إلى تشويش التفكير وعدم التركيز وبالتالي قرارات عشوائية ، فعن أبي هريرة أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أوصني! فقال صلى الله عليه وسلم : "لا تغضب" فردد مراراً؛ قال: "لا تغضب" .
17. توسيع نطاق المشاورة : يقول تعالى : { وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ } [آل عمران : 159].
18. التعاون بين الأفراد داخل المنظمة للعمل على حل المشاكل والأزمات التي يمكن أن تواجهها المؤسسة ، وقد قال تعالى : { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ } [المائدة : 2] .
19. الاستعانة والتوكل على الله : فالمسلم بعد أن يختار من الحلول ما يراه ملائما لحل الأزمة عليه أن يتوكل على الله ويستعين به ، لقوله – صلى الله عليه وسلم – : (اعقلها وتوكل) ، ويقول تعالى : { كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ٢١ } [المجادلة : 21].

20. العزم والعمل وعدم التخاذل والتردد: يقول تعالى : { فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩ } [آل عمران : 159] ، ولذا فقد قيل : العاجز يلجأ إلى كثرة الشكوى ، والحازم يسرع إلى العمل وبالتالي يمكننا الاستفادة مما هو موجود بالفكر الغربي بعد تأصيله بالفكر الإداري الإسلامي الذي جاءت به شريعتنا الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة النبوية المطهرة التي لم تترك أمرا من أمور الحياة الدنيا والآخرة إلا تضمنتها ، يقول تعالى : { ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِين } [المائدة : 3] .

المبحث الثالث

أزمة الصحابي كعب بن مالك أنموذجا

المطلب الأول : من هو هذا الصحابي ؟

هو كعب بن مالك بن عمرو بن القَيْن بن كعب بن سواد السَّلَمي الجُشَيمي الخزرجي .[15]

كانت أول مشاهده التي حضرها بيعة العقبة الثانية [16] واشترك كعب مع الرسول في جميع المشاهد إلا غزوتي بدر وتبوك [17] . لقد اشتهرت قصته – تخلف كعب بن مالك وصاحبيه عن غزوة تبوك وتوبة الله عليهم – في التاريخ لما نزل فيها من قرآن ، وامتحن فيها كعب وصاحباه امتحانا عسيرا ، خرجوا منه بتوبة الله عليهم وعذرهم [18] . ويذكر الدكتور محمد الهاشمي في كتابه (كعب بن مالك الأنصاري الصحابي الشاعر الأديب) : " وكان مقاطعة الناس لكعب كبيرا على نفسه ، حيث كانت نفسه تنهلع من الخوف خشية أن تستمر تلك المقاطعة ... ولقد غشيت نفس كعب غاشية من الاضطراب والقلق والجزع ، حملته على الحركة والتنقل ، حتى ما يكاد يقر له قرار ، فكان يخرج من أهله فيغيب النهار كله ، يتعبد الله في الشمس ويأوي في الليل إلى فسطاط اتخذه مأوى له ، ثم عاد إلى سلع (جبل) ، فكان يقيم فيه النهار صائما ، حتى إذا جاء الليل أوى إلى داره وظل هذا شأنه حتى نزلت توبته " [19] . كعب بن مالك هو واحد من الثلاثة من الأصحاب الذين نزل قرآن بتوبتهم ، وصاحباه الآخران هما مرارة بن ربيعة ، وهلال بن أميه الواقفي [20] –رضوان الله عليهم . لقد أنزل الله في شأن كعب بن مالك قرآنا بعد تخلفه عن غزوة تبوك التي كانت بين المسلمين والروم، وكانت في الصيف حيث الحر والجدب، وحيث يهيم الناس بالأفياء ويهرعون إلى الظلال .

المطلب الثاني

ادارته لأزمته

من المواقف التي ربى فيها النبي أصحابه بأمر من ربه الذي رباه : موقفه من كعب بن مالك وصاحبيه رضي الله عنهم ، ففي هذه القصة من العبر والعظات الشيء الكثير. [21] وقد تم اعتماد نص هذه القصة مما في الصحيحين فقط ، لأنهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى .

نص الحديث: [22]

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ – وَكَانَ قَائِدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ حِينَ عَمِيَ – قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ قِصَّةِ تَبُوكَ قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا إِلاَّ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَدًا تَخَلَّفَ عَنْهَا، إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، حَتَّى جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلاَمِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلاَّ وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ – يُرِيدُ الدِّيوَانَ – قَالَ كَعْبٌ فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلاَّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَى لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ، وَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ، وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ، فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّي لاَ أَرَى إِلاَّ رَجُلاً مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهْوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ « مَا فَعَلَ كَعْبٌ ». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَنَظَرُهُ فِي عِطْفِهِ؛ فَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ:

بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ؛ قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ تَوَجَّهَ قَافِلاً حَضَرَنِي هَمِّي، وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا، وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ، وَعَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَخْرُجَ مِنْهُ أَبَدًا بِشَيْءٍ فِيهِ كَذِبٌ، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ قَادِمًا. وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَيَرْكَعُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلاَنِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ « تَعَالَ ». فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي:« مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ». فَقُلْتُ: بَلَى، إِنِّي وَاللَّهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ، لاَ وَاللَّهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَاللَّهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ :« أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ». فَقُمْتُ وَثَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا، وَلَقَدْ عَجَزْتَ أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُتَخَلِّفُونَ، قَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ لَكَ، فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ، رَجُلاَنِ قَالاَ مِثْلَ مَا قُلْتَ، فَقِيلَ لَهُمَا مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ؛ فَقُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِي. فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا إِسْوَةٌ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي، وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهْوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلاَمِ عَلَيَّ أَمْ لاَ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ فَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلاَتِي أَقْبَلَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ وَهْوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلاَمَ، فَقُلْتُ يَا أَبَا قَتَادَةَ: أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ لَهُ فَنَشَدْتُهُ. فَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ، قَالَ فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ

إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ، حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، فَإِذَا فِيهِ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ، وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللَّهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ: لَمَّا قَرَأْتُهَا وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاَءِ. فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا. وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَتَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِي هَذَا الأَمْرِ؛ قَالَ كَعْبٌ: فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ:« لاَ وَلَكِنْ لاَ يَقْرَبْكِ »؛ قَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَى شَيْءٍ، وَاللَّهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا. فَقَالَ: لِي بَعْضُ أَهْلِي لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ فِي امْرَأَتِكَ كَمَا أَذِنَ لامْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا يُدْرِينِي مَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَا، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ، فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينِ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ عَنْ كَلاَمِنَا، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ. قَالَ فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَآذَنَ رَسُولُ اللَّهِ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، وَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ، وَرَكَضَ إِلَيَّ رَجُلٌ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ فَأَوْفَى عَلَى الْجَبَلِ وَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ، وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنُّونِي بِالتَّوْبَةِ، يَقُولُونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ كَعْبٌ حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ إِلَيَّ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّانِي، وَاللَّهِ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلاَ أُنْسَاهَا لِطَلْحَةَ، قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَهْوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ». قَالَ: قُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ؟ قَالَ « لاَ، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ». وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ « أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ ». قُلْتُ فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا

نَجَّانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لاَ أُحَدِّثَ إِلاَّ صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَبْلاَهُ اللَّهُ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلاَنِي، مَا تَعَمَّدْتُ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَقِيتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ : لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَى قَوْلِهِ: وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلإِسْلاَمِ أَعْظَمَ فِي نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ أَنْ لاَ أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لأَحَدٍ، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَى قَوْلِهِ: فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ؛ قَالَ كَعْبٌ وَكُنَّا تَخَلَّفْنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ، فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ: وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا عَنِ الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، فَقَبِلَ مِنْهُ.

المبحث الرابع

منهج الصحابي كعب بن مالك في إدارة أزمته بنجاح باهر ، والمفاهيم الإدارية والنفسية والاجتماعية المستنبطة من إدارته للأزمة :[23]

1. قول الحق ولو على النفس، بدون زيادة ولا نقصان وهذا من التجرد الذي نحن بحاجة إليه وخاصة في هذا الزمن. من قول كعب – رضي الله عنه –:(كَانَ مِنْ خَبَرِي أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، وَاللَّهِ مَا اجْتَمَعَتْ عِنْدِي قَبْلَهُ رَاحِلَتَانِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ).
2. أسلوب التصريح في الحديث، أشبه ما يكون بالعلاج فلا يستخدم إلا عند الحاجة إليه، لكن بعض الناس – هداهم الله – يظن بأن من لا يصرح دائماً في حديثه أنه جبان، وما علم أن من هديه أنه لا يكثر من التصريح بل كان يكثر من التلميح. من قوله – رضي الله عنه –:(حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الْغَزْوَةُ، غَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا، وَعَدُوًّا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ، فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ).
3. التنظيم أسلوب إسلامي راقي، سبق فيه كل الحضارات، وإن كان من خلل فهو من تطبيق العاملين لا من الدين. من قوله – رضي الله عنه –:(وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ كَثِيرٌ، وَلاَ يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ – يُرِيدُ الدِّيوَانَ –)، ومع هذا يخرجون منظمين آخذين أهبتهم، مستعدين للقاء عدوهم.

4. تربية الأتباع على الخوف من الله تعالى ومراقبته في السر والعلن، وهذا أسلوب ناجع لحل كثير من أمراض الأمة صغرت أم كبرت. من قول كعب – رضي الله عنه –:(فَمَا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلاَّ ظَنَّ أَنْ سَيَخْفَي لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيُ اللَّهِ).
5. على القائد والمربي أن يكون قدوة للأتباع في كل عمل، فهذا رسول البرية يتقدمهم في هذه الغزوة العظيمة. من قوله – رضي الله عنه –:(وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ تِلْكَ الْغَزْوَةَ).
6. خطورة التسويف وأنه يفسد على العبد أمر دينه ودنياه؛ يقول ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – في صيد خاطره:(إياك والتسويف فإنه أعظم جنود إبليس)، ويقول أبو حامد الغزالي كما في الإحياء:(إن التسويف يسبب أربعة أشياء: ترك الطاعة والكسل فيها، وترك التوبة وتأخيرها، والحرص على الدنيا والاشتغال بها، وقسوة القلب ونسيان الآخرة). من قوله – رضي الله عنه –:(فَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَأَقُولُ في نَفْسِي أَنَا قَادِرٌ عَلَيْهِ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اشْتَدَّ بِالنَّاسِ الْجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي شَيْئًا، فَقُلْتُ أَتَجَهَّزُ بَعْدَهُ بِيَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ ثُمَّ أَلْحَقُهُمْ، فَغَدَوْتُ بَعْدَ أَنْ فَصَلُوا لأَتَجَهَّزَ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ ثُمَّ رَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ).
7. الاحتجاج بالقدر يكون في المصائب لا في المعائب، فإذا أصيب العبد بمصيبة فيجوز له أن يحتج بالقدر عليها، أم الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعاصي فلا. من قوله – رضي الله عنه –:(فَلَمْ يُقَدَّرْ لي ذَلِكَ).
8. الحرص على محاسبة النفس وخاصة على فوات الطاعات. من قوله – رضي الله عنه –:(فَكُنْتُ إِذَا خَرَجْتُ في النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ فَطُفْتُ فِيهِمْ، أَحْزَنَنِي أَنِّى لاَ أَرَى إِلاَّ رَجُلاً مَغْمُوصًا عَلَيْهِ النِّفَاقُ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ مِنَ الضُّعَفَاءِ).
9. التماس العذر للناس عند عدم أداء الحقوق. من قوله – رضي الله عنه –:(وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ). لأنه كان مشغولاً بمسيره إلى تبوك.

10. على القادة والمربين أن يجالسوا الناس ويخالطوهم ويسألوا عن حالهم، فهذا النبي يجلس مع أصحابه ويحدثهم ويسأل عن حالهم. من قوله – رضي الله عنه –:(فَقَالَ وَهْوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ بِتَبُوكَ).

11. إحسان الظن بالمسلمين – وهو الأصل – ، ومنه قول معاذ : (وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا).

12. إقرار النبي لمعاذ بن جبل – رضي الله عنه – بأنه لا يعلم عن كعب – رضي الله عنه – إلا خيراً. من قوله – رضي الله عنه –:(فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ).

13. وفيه أيضاً إغلاق باب الجدال والنقاش إذا كانت المصلحة تقتضيه، ومن ذلك سكوت النبي ، فقد يكون للرجل مقالاً، وقول معاذ حق، فأراد النبي إغلاق باب الجدال والنقاش. من قوله – رضي الله عنه –:(فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ).

14. أهمية الشورى في الإسلام، بشرط أن يكون المستشار أميناً، وناصحاً، وذو رأي. من قوله – رضي الله عنه –:(وَاسْتَعَنْتُ عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي).

15. يستحب لمن كان ذو هيئة أن يجلس للناس حال قدومه من سفر حتى يُسلَّم عليه، ويتفقد حالهم، فتقديم المصالح العامة أولى من المصالح الخاصة. من قوله – رضي الله عنه –:(ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ).

16. على الإنسان إذا فعل ما يعاب عليه أن يبين مراده من فعله، أو يعتذر عنه. من قوله – رضي الله عنه –:(طَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ).

17. الأصل في التعامل مع الناس أن يعاملوا بظواهرهم، وتوكل سرائرهم إلى الله – تعالى –. من قوله – رضي الله عنه –:(فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ عَلاَنِيَتَهُمْ).

18. استعمال بعض الإشارات، وبعض حركات الجوارح دون الكلام في علاج بعض الأخطاء أسلوب نبوي رائع. من قوله – رضي الله عنه –:(فَجِئْتُهُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ)، وفيه أن التبسم قد يكون عن غضب، كما قد يكون عن تعجب.

19. من آداب المحادثة أن تستقبل من تحدثه بكليتك، ولا تلتفت عنه يمنة ويسره وهو يحدثك. من قوله – رضي الله عنه –:(فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ).

20. من آداب المناصحة والمصارحة أن تكون على خلوة من الناس، لا في حضرتهم، إلا إذا اقتضت المصلحة ذلك؛ فهذا كعب بن مالك – رضي الله عنه – جلس بين يدي رسول الله – رضي الله عنه –، ورسول الله يسأله ليس بينهم أحد. من قوله – رضي الله عنه –:(حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لي:« مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ »).

21. الاستيضاح والمصارحة منهج نبوي مع المخالف، دون تعنيف ولا تجريح، فبالاستيضاح يظهر للإنسان حقيقة الأمر، وبالمصارحة تُحلُ جميع الإشكالات. من قوله – رضي الله عنه –:(فَقَالَ لي :« مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ». فَقُلْتُ: بَلَى).

22. الإجابة تكون دائماً على قدر السؤال، ثم يبين الإنسان ما يريد بعد ذلك، إلا إذا اقتضت المصلحة خلاف ذلك. من قوله – رضي الله عنه –:(فَقُلْتُ: بَلَى).

23. إن استقطاع الحقوق والخلوص من الخلق بالحجة والجدل الكاذب لا ينفع العبد بل هو مما يضره، ومنه ما جاء من حديث أم سلمة – رضي الله عنها – أن رسول الله قال:« إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي نَحْوَ مَا أَسْمَعُ ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلاَ يَأْخُذْهُ، فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ » أخرجه البخاري(7169)، ومسلم(4570).من قوله – رضي الله عنه –:(وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً).

24. من طلب رضا الناس بسخط الله – تعالى – سخط الله عليه وأسخط عليه الناس. من قوله – رضي الله عنه –:(لَكِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، ولَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ اللَّهِ).

25. جواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن عليه الفتنة. من قول قوم كعب له:(قَالُوا لِي: وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَاكَ كُنْتَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هَذَا).

26. الهجر أسلوب تربوي ناجع، استخدمه النبي . من قوله :(وَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ).

27. الاستجابة التامة لأمر الله تعالى، وأمر رسوله فالصحابة – رضي الله عنهم – ما إن سمعوا أمر رسول الله بهجر هؤلاء الثلاثة – مع ما عرف عنهم من حسن إسلامهم – حتى استجابوا لذلك استجابة تامة. من قوله :(فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا).

28. عِظَمُ البلاء الذي أصاب كعب بن مالك وصاحبيه – رضي الله عنهم –. من قوله : (حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذَلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً).

29. إذا وجد العبد من أصحابه وإخوانه جفوة، وصدود فلا يحملنَّه ذلك على ترك الحقوق والواجبات. من قوله: (فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهْوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاَةِ).

30. إن البقاء على عمل روتيني واحد قد يجعل العبد يمله، ويقسو قلبه بذلك، فعلى الإنسان أن ينوع من أعماله، حتى لا تكل النفس وتمل؛ وقد قال تعالى عن أهل الكتاب: { وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦ } [الحديد : 16]. من قوله : (حَتَّى إِذَا طَالَ عَلَيَّ ذَلِكَ مِنْ جَفْوَةِ النَّاسِ مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ).

31. على المؤمن أن يصبر على البلاء مهما اشتد، وأن يستعين بالله على تحمله، فقد يكون البلاء بالضراء، وقد يكون بالسراء، فهذا كعب تأتيه رسالة من مالك غسان، فأصبح الملوك يرسلونه، ومع ذلك يعد ذلك من البلاء، ويصبر على اللأواء. من قوله: (فَقُلْتُ: لَمَّا قَرَأْتُهَا وَهَذَا أَيْضًا مِنَ الْبَلاَءِ).

32. سرعة الاستجابة لأمر الله وأمر رسوله في أحرج المواقف، فهذا كعب مع ما هو فيه من البلاء، يأتيه الأمر باعتزال أهله، فيسارع في الاستجابة، بل ويسأل هل يطلقها؟ فلو أمر بذلك لكان من أسرع الناس للاستجابة، فيُؤمر باعتزالها دون طلاق. من قوله :(حَتَّى إِذَا مَضَتْ

أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنَ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا، أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ قَالَ: لاَ، بَلِ اعْتَزِلْهَا وَلاَ تَقْرَبْهَا).

33. إن اشتداد البلاء دليل على قرب الفرج، فما بعد الليل إلا الفجر، ولا بعد العسر إلا اليسر، ولا بعد الضيق إلا الفرج. من قوله :(فَبَيْنَما أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفى عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ).

34. إن من أساسات الرحمة والمحبة بين المسلمين سرور تدخله على قلب أخيك المسلم، بل هو من أعظم القرب التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى في تعامله مع المسلمين. من قوله :(سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفي عَلَى جَبَلِ سَلْعٍ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ).

35. عدم اليأس من روح الله، فإن اليأس من أعظم أسباب البعد عن رحمة الله تعالى، قال تعالى على لسان يعقوب – عليه السلام – بعد ما أصابه من البلاء ما أصابه من فقد يوسف وأخيه: { يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ } [يوسف : 87]. من قوله :(وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ).

36. استحباب إعطاء المُبشّر بشارة لنقله للخبر السَّار، فنقل الخبر السَّار من صنع المعروف للناس، من قوله :(فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ، فَكَسَوْتُهُ إِيَّاهُمَا بِبُشْرَاهُ).

الاستنتاجات :

1. الأزمة هي موقف يتصف بصفتين أساسيتين هما : التهديد وضغط الوقت .
2. ينشأ عن الأزمة الأساسية أزمات أخرى كالنفسية والاجتماعية والإعلامية .
3. يتميز النموذج الإسلامي في إدارة الأزمات بالشمولية وسمو أسسه الفكرية والقيمية وجوانبه الروحية .
4. إن عملية إدارة الأزمات بنجاح باهر تقتضي التوكل على الله والاستعانة به أولا .
5. تتجلى أهمية ونجاعة البعد الإيماني كأحد المحاور الرئيسية الإسلامية في التعامل مع مختلف المواقف بما فيها الأزمات .

التوصيات :

يوصي الباحث بما يلي :

1. العمل على تقوية الوازع الإيماني بالله عز وجل والامتثال لأوامره وإعمال سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم طاعة لله واستعانة به .
2. نشر الوعي حول إدارة الأزمات من المنظور الإسلامي على المستوى الفردي والجماعي والمؤسسي .
3. تطبيق المنهج الإسلامي في الوقاية من الأزمات وفي إدارتها ومعالجتها إذا ما حدثت لتحويلها من محنة إلى منحة .
4. تحفيز وتشجيع الباحثين المؤهلين على تنفيذ المزيد من البحوث في هذا المجال لاستنباط الحلول .

الهوامش :

1. عباس ، صلاح : (إدارة الأزمات في المنشآت التجارية) ، 2007م ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ص9 .
2. ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : (لسان العرب) ، المجلد الثاني عشر ، ط 6 ، 1417هـ /1997م ، دار صادر ، بيروت ، ص16 .
3. جادالله ، د. محمود : (إدارة الأزمات) ، الطبعة الأولى ، 2008 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،
4. عربش ، معاوية وليد : (إدارة الأزمة الاقتصادية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه) ، 2010 ، دار الإصلاح للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ص 17 .
5. المرجع السابق ، ص17 .
6. المرجع السابق ، ص17 .
7. مختارات بيميك : (إدارة الأزمات – التخطيط لما قد لا يحدث) ، تعريب علا أحمد إصلاح ، الطبعة الثانية ، 2004م ، مركز الخبرات المهنية للإدارة (بيميك)، القاهرة ، ص17 .

8. الصيرفي ، أ.د. محمد : (إدارة الأزمات) ، 2008م ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ص14 .
9. الطراونة ، هاني خلف : (نظريات الإدارة الحديثة ووظائفها) ، الطبعة الأولى ، 2012م ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص20–22 .
10. يوسف ، أ.د. حلمي شحادة (منهج الإدارة الإسلامية – العلم والعمل) ، الطبعة الأولى ، 2015م /1436هـ ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن ، ص30–35 .
11. عربش ، معاوية وليد : (إدارة الازمة الاقتصادية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه) ، مرجع سابق ، ص31–32 .
12. المرجع السابق ، ص32–33 بتصرف .
13. الزهراني ، د. عبدالله بن أحمد : (إدارة الأزمات من منظور إسلامي) ، الكلية الجامعية ، مكة المكرمة ، PPT .
14. المرجع السابق نفسه .
15. طباع ، أسماء : (نجوم في فلك النبوة) ، د. ن. ، الطبعة الأولى ، 1424هـ /2004م ، ص358 .
16. المرجع السابق ، ص 358 .
17. العامي ، د. سامي مكي : (كعب بن مالك الأنصاري – شاعر العقيدة الإسلامية) ، الطبعة الثالثة ، 1417هـ /1996م ، دار القلم ، دمشق ، ص56 .
18. المرجع السابق ، ص57 .
19. الهاشمي ، د. محمد علي : (كعب بن مالك الأنصاري–الصحابي الشاعر الأديب) ، الطبعة الأولى ، 1405هـ/1985م ، د. ن. ، ص89 .
20. آل مجاهد ، محمد بن علي بن عثمان : (خصال الأصحاب) ، الطبعة الأولى ، 1422هـ/2001م ، مكتبة السعيد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص112 .

21. آل جبعان ، د. ظافر حسن : (الفوائد العذاب من قصة كعب بن مالك) ، ملتقى أهل الحديث http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=84109

22. تخريج الحديث: أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي، باب: حديث كعب بن مالك وقول الله- تعالى - :(وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ) (فتح8/452 برقم:4418)، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه(4/2120 برقم:2769)، وغيرهما، وهذا لفظ البخاري.

23. آل جبعان ، د. ظافر حسن : (الفوائد العذاب من قصة كعب بن مالك) ، ملتقى أهل الحديث ، مرجع سابق .

المصادر والمراجع :

1. القرآن الكريم.
2. صحيح البخاري.
3. آل مجاهد ، محمد بن علي بن عثمان : (خصال الأصحاب) ، الطبعة الأولى ، 1422هـ/2001م ، مكتبة السعيد للنشر والتوزيع ، الرياض ، ص112 .
4. ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : (لسان العرب) ، المجلد الثاني عشر ، ط 6 ، 1417هـ /1997م ، دار صادر ، بيروت ، ص16 .
5. آل جبعان ، د. ظافر بن حسن : (الفوائد العذاب من قصة كعب بن مالك) ، ملتقى أهل الحديث .
6. الزهراني ، د. عبدالله بن أحمد : (إدارة الأزمات من منظور إسلامي) ، الكلية الجامعية ، مكة المكرمة ، PPT .
7. الصيرفي ، أ.د. محمد : (إدارة الأزمات) ، 2008م ، مؤسسة حورس الدولية للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ، ص14 .
8. الطراونة ، هاني خلف : (نظريات الإدارة الحديثة ووظائفها) ، الطبعة الأولى ، 2012م ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص20-22 .

9. العامي ، د. سامي مكي : (كعب بن مالك الأنصاري – شاعر العقيدة الإسلامية) ، الطبعة الثالثة ، 1417هـ /1996م ، دار القلم ، دمشق ، ص56 .
10. الهاشمي ، د. محمد علي : (كعب بن مالك الأنصاري–الصحابي الشاعر الأديب) ، الطبعة الأولى ، 1405هـ/1985م ، د. ن. ، ص89
11. جادالله ، د. محمود : (إدارة الأزمات) ، الطبعة الأولى ، 2008 ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ص .
12. طباع ، أسماء : (نجوم في فلك النبوة) ، د. ن. ، الطبعة الأولى ، 1424هـ /2004م ، ص358 .
13. عباس ، صلاح : (إدارة الأزمات في المنشآت التجارية) ، 2007م ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، ص9 .
14. عربش ، معاوية وليد : (إدارة الأزمة الاقتصادية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه) ، 2010 ، دار الإصلاح للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ص17 .
15. مختارات بيميك : (إدارة الأزمات – التخطيط لما قد لا يحدث) ، تعريب علا أحمد إصلاح ، الطبعة الثانية ، 2004م ، مركز الخبرات المهنية للإدارة (بيميك)، القاهرة ، ص17 .
16. يوسف ، أ.د. حلمي شحادة (منهج الإدارة الإسلامية – العلم والعمل) ، الطبعة الأولى ، 2015م /1436هـ ، دار وائل للنشر ، عمان ، الأردن ، ص30–35 .

جامعة الناصر

AL-NASSER UNIVERSITY